الفصل الثانى
الأزياء التقليدية الخارجية للنساء ومكملاتها فى تونس

المقدمة :

تتنوع الفنون التشكيلية التقليدية من حكم ومأثورات وقصص وحكايات وموسيقى وشعر وأزياء من مجتمع إلى آخر فكل مجتمع له مأثوراته وفق احتياجاته الخاصة به.

ودراسة الأزياء التقليدية كفن من الفنون التشكيلية التقليدية لها بعدها الوظيفى الأساسى هذا بجانب بعدها الجمالى الذى يعكس شخصية الإنسان وتميزه، كما أنها جزء هاما من تراث الشعوب.

وفى تونس صاغ الإبداع الفنى تراثا شعبياً متميزاً ذو خصوصية بين الدول العربية فقد اكتسب التراث التقليدى فى تونس صفه الانفراد والتميز وخاصة فى المجالات التراثية وروعة الفنون اليدوية كصناعة الأسرّة الخشبية المنقوشة ونقش الحديد الذى يزين الجدران والسقوف هذا إلى جانب المنتجات الرفيعة كصناعات المعدنية والبلوريات والزجاج والقيشانى بزخارفه ونقوشه "الفسيفساء" والفضة والعطور وكذلك صناعة النسيج فقد اشتهرت تونس بأقمشتها "الأفريقية" المصنوعة من القطن الممزوج بالكتان أو الكتان الخالص، وقماش "السفسارى " الرقيق المصنوع من الحرير الممزوج بالقطن أو الصوف.

التعريف بمنطقة الدراسة :

تونس مدينة قديمة وكان اسمها فى قديم الزمان "ترشيش" التى ذكرت فى

التوراة وسميت بعد ذلك "تيناس" أو "توناس" الذى أصبح تونس بعد ذلك . وقد لقبت تونس "ببيت قرطاج" وتقع تونس فى الطرف الشرقى لسلاسل أطلس، مواجهة لمضيق صقلية، ولا توجد حواجز طبيعية تفصل تونس عن الجزائر، ذلك بالإضافة إلى أنها تتمتع بمناخ البحر المتوسط والمناخ الصحراوى وتبلغ مساحتها حوالى ١٦٥.٠٠٠ ك.م مربع، وأمطارها قليلة إذ تقع فى ظل جبال أطلس ومن ناحية أخرى تأخذ السلاسل الجبلية الكبرى فى الاختفاء ومن ثم يقل ارتفاع السطح وتتسع السهول لتزيد ارتفاع ثلث مساحة الأرض التونسية نتيجة لالتقاء سلسلتى الجبلين المثلثين فى أطلس الصحراء وأطلس التل ، أما فى الجنوب فيسود مظهر الاستبس وتحيط الصحراء الرملية جوانب الحدود التونسية. وعلى الرغم من اتصال تونس من الناحية الطبيعية اتصالا وثيقاً بالجزائر إلا أن لها شخصيتها الجغرافية المتميزة. الخريطة رقم (١).

ومعظم سكان تونس أغلبهم من العرب والبربر حيث لا يوجد سوى بعض الأقليات الأوربية التى ينتمى أغلبهم إلى الفرنسيين والإيطاليين، أما اليهود فقد أخذ أعدادهم فى التناقص فى السنوات الأخيرة ومن ناحية كثافة السكان تعتبر تونس أكثر بلاد المغرب العربى كثافة للسكان إذ تصل كثافة السكان إلى ٢٥ نسمة فى كل كيلو متر مربع، باستثناء الصحراء فإن الكثافة ترتفع إلى ٣٠ نسمه فى كل كيلو متر مربع، ويتركز ٦٥٪ من سكان تونس فى المنطقة الساحلية الممتدة من "بنزرت إلى "صفاقس" ومن ثم ترتفع الكثافة هناك إلى ١٧ نسمه فى كل كيلو متر مربع.

ويتركز ما يقرب من ثلث سكان تونس فى المدن التى يصل عددها إلى ١٠٠ "محله" عمرانية لكل منها مجلس بلدى.

البعد الاجتماعى:

كان المجتمع التونسى قديماً شديد الانغلاق على نفسه، لكن اليوم أصبح أكثر سهولة مما سبق وخاصة فى عادة الزواج، كما إن لهذا المجتمع قوانينه، وكان أدرى

الناس بها شخص يدعى "الباش محرك" وهو يترأس كل الاحتفالات وما زال الناس، إلى يومنا هذا يستدعون "الباش محرك" فيستفيد رب الدار من خبرته ومهارته ويتقاضى مقابل ذلك قدراً من المال وهى ترتفع كلما أرتفع حسبان العائلة. أما المهمات العادية فيتولاها (المحرك أو رئيس الحومة).

ومن العادات المهمة والرئيسية لدى التونسيين الذهاب إلى الحمام ورغم أن أغلب المساكن جهزت اليوم ببيوت استحمام فإن الحمام كان ولا يزال المكان الذى يستقطب الأهالى والأصدقاء للتطهر أو الاسترخاء أو العلاج من الأمراض وخاصة فى الأعياد والمناسبات السعيدة وتقوم بهذا الدور سيدة تسمى "الحارزة" لتجلب الماء أو تجهيز البخور أو العطر أو تقوم بالتدليك. " اللوحات رقم (١،٢،٣) توضح وظيفة الحارزة فى مناسبات مختلفة.

الملابس الخارجية :

ويقصد بها أنواع الملابس التقليدية الخارجية للنساء فى تونس والتى لها طابع بيئى مميز وتنفرد به تونس عن سائر الأقطار العربية والتى ما زالت ترتديه حتى الآن ولكن بصورة ضئيلة عن السابق وخاصة فى المناسبات الاجتماعية كحفلات الخطوبة والزواج.

- السورية أو البلوزة :

عبارة عن قميص واسع مصنوع من القطن أو الكتان وبألوان مختلفة ولكن دائماً يفضل اللون الأبيض ويصل طول "السورية" إلى الركبتين تقريباً ولها فتحتين من الجانبين وحردة رقبة مستديرة وبها شق يصل طوله حوالى ٢٠: ٢٥ سم تقريباً وأحياناً يركب للسورية كول وأهم ما يميز :السورية" الأكمام الطويلة التى تغطى اليدين بحوالى ١٠ سم تقريباً والتى غالباً ما تكون من الدانتيل المطرز ونهاية الأكمام واسعة كما هو مبين بالشكل رقم(١) واللوحة رقم (٢٤).

- الحصارة أوالفرملة :

ترتدى المرأة التونسية واحدة من الاثنين الحصارة أو الفرملة.

أ) **الحصارة** : عبارة عن صديرى يشبه حاملة الصدر تقريباً تطرز بالزخارف النباتية الشكل رقم (٢أ ، ٢ب) ويصل طولها ما بعد الصدر مباشرة، ذو حردة رقبه مستديرة عميقة وتزرر تحت الصدر مباشرة على إن تترك المسافة بين نهاية الحصارة والفوطة (الازار أو التنورة) عارياً (يظهر جزء من البطن عارياً) وغالباً ما كان هذا الجزء العارى من منطقة ما بعد الصدر إلى الوسط تقريباً يحلى بخيوط يتدلى منها الخرز وخرج النجف. كما هو مبين بالشكل رقم (٢ أ) ويسمى "مريول" أو يحلى هذا الجزء من الحصارة بالدانتيل والعدس (الترتر) المختلف الألوان أو تزخرف الحصارة الزخارف النباتيه وتطرز بالخيوط الذهبية أو الفضية أو القيطان اللوحة رقم (٤).

ب) **الفرملة** : عبارة عن صديرى مستطيل الشكل مفتوح من الأمام بدون أكمام ترتدى فوق السورية، تصنع من الأقمشة الحريرية أو المخمل القطيفة السادة وبألوان مختلفة. ويصل طول الفرملة إلى مستوى الوسط تقريباً أو بعد الوسط بحوالى ١٠: ١٥ سم توجد به حردة رقبة أمامية فقط كما هو مبين بالشكل التوضيحى رقم (٣أ ، ٣ب) وغالباً ما يكون للفرملة "كنادر" جزء خارج عن مستوى الكتف يسمى "كندر" عبارة عن مثلث قاعدتة على مستوى الكتف وقمته عند نهاية حردة الابط ويصل طول الكندر من أعلى حوالى ٢٠ : ٢٥ سم اللوحة رقم(٥) وغالباً ما تحلى الفرملة بالزخارف النباتية والقيطان الذهبى أو الفضى وتحدد بالخيوط المعدنية اللوحة رقم (٦).

الفوطة أو الأزار:

ترتدى المرأة التونسية فى الجزء الأسفل من الجسم فوطة عبارة عن مستطيل يصل طوله حوالى ١١٥ سم وعرضه حوالى ٢٠٠ سم يلتف حول الخصر يأخذ شكل التنورة يلف طرفاها على الآخر مصنوعة من الكتان أو الحرير السادة أو المنقوش وأغلب ألوانه داكنة وأحياناً يكون للازار أو الفوطة "كنار" مزخرف من أسفل ثم يلف حول الفوطة شالا على الوسط من الحرير المخطط والملون بالألوان الزاهية ويربط عند منتصف البطن تقريباً " اللوحة رقم (٢٤).

السروال:

ارتدت المرأة التونسية فوق ملابس الخروج نوعين من السراويل:

النوع الأول:

سروال بحجر واسع وأرجل ضيقة يصنع من الكتان أو القطن أو الحرير السادة ويربط عند الوسط بواسطة التكة أو حزام يشد على محيط الوسط اللوحة رقم (٧) والشكل رقم (٤) وغالباً ما يغالوا فى تطريز السروال. بأسلوب يعرف "بالشبكة" المصنوعة يدوياً وهذه القطعة تسمى "التنبيت" ويقوم بصناعتها النسوة الجالسات فى بيوتهن وهى عبارة عن قطعة منفصلة مطرزة بالخيوط الكتانية أو الحريرية تصنع على وسادة خاصة وتشبه شغل التلى توضع فى أسفل السروال اللوحة رقم (٨) ولكن هذا الشكل كاد أن يندثر ولم يبق إلا للنسوة كبار السن اللاتى يقمن بعمله.

النوع الثانى:

يشبه سراويل أهل الجزائر ويطلق عليه "كبوس الفارق" وهذا السروال واسع إلى حد ما وليس له "حجر" وعند نهايته يضاف له أيضاً التنبيت أو الدانتيل العريض الجاهز الشكل رقم (٥).

- الجبة أو القمجة:

ترتدى نساء الحضر جلباب فوق الملابس السالفة الذكر يطلق عليه الجبة أو القمجة ، ذو حردة رقبة مستديرة وشق من الأمام يصل طوله حوالى ٢٥ : ٣٠ سم تقريبا ويكون هذا الشق مستدير فى نهايته كما هو مبين باللوحة رقم (٩ ب) أو شق مربع من النهاية كما هو موضح باللوحة رقم (١٠) أو مفتوحة إلى نهاية الذيل ويصل طولها إلى الركبتين تقريبا ، وأكمام طويلة واسعة عند الرسغين أو نصف كم اللوحة رقم (٩أ) ويختلف شكل الجبة أو القمجة من واحدة إلى أخرى من حيث الضيق أو الوسع على الجسم وأيضا الزخارف والتطريز المضاف عليها وغالباً ما تصنع من الأقمشة الحريرية المخلوطة أو الكتان ويحلى الجبة أو القمجة بشرائط

عريضة من الحرير السادة أو الملون وعادة ما يكون الشريط بطول الرداء الشكل رقم (٦)، كما يضاف على حافتها وحول الرقبة والشق الأمامى شريط يسمى "البشمار(*)" أو "خرج الكسوة" كما تضاف أيضاً حواشى منسوجة أو ضفائر منسوجة تسمى "شرائط" اللوحة (٩ب) هذا بجانب التطريز بالخيوط الذهبية أو الفضية كما يستخدم فى تونس خيوطاً فرنسية تسمى الكونتيل(*) وغالباً يتم إختيارها بمنتهى الدقة والعناية لتتمشى مع لون الرداء الشكل رقم (٧) واللوحة رقم (١١).

- الملية أو السفسارى:

ترتدى نساء الأعراب فى تونس فوق الملابس التقليدية "ملية" عوضا عن الجبة. عبارة عن مستطيل من القماش الحريرى المقلم أو السادة يصل طولها إلى مستوى القدم وتمسك " بمساسك(*) " كبيرة من النحاس أو الفضة أو الذهب حذو كتفيها مما يلى الصدر تقريباً اللوحات رقمى (١٢، ١٣) كما أن النساء الشعبيات فى الحضر يرتدين السفسارى الأبيض ويختلف طريقة ارتداء السفسارى عن الملية اللوحة رقم (١٤).

- أغطية الرأس :

تعددت أنواع أغطية الرأس فى تونس من حيث الشكل والتصميم.

أ – تقريطة مع قوفية:

تضع المرأة على رأسها منديل حرير أسود يسمى تقريطة(*) وفوقه قطعة مستطيلة الشكل يطلق عليها "العرقية" لها ارتفاع يطلق عليه "جبين" من إصبعين إلى ثمانية

(*) البشمار: عبارة عن خيوط ذهبية أو فضية مجدولة ثم تضفر وتوضع على حافة الرقبة وعادة تكون بسمك من ١ : ٢ سم.

(*) الكونتيل: عبارة عن خيوط معدنية ملتوية تشبه غرزة الركوكو بحيث تدخل الإبرة فى تجويف الألتواء وتثبت بالخيوط العادية.

(*) مساسك: ج مساك وهو الدبوس.

(*) تقريطة: منديل من حرير تغطى به المرأة رأسها.

أصابع تصنع من الحرير الأسود المخلوط اللوحة رقم (١٥) ، وفى مؤخرتها شرابة من الحرير تتدلى من الخلف ، وتربط أطرافها من جهة الجبهة على الجانبين بمساسك من الفضة أو من النحاس يطلق عليهما تخليلة اللوحات رقمى (١٦،١٧) .

ب - قوفية بالكفا:

عبارة عن قطعة من القماش مستطيلة الشكل ولها حافة مدببة فى وسط المستطيل وتطرز هذه القوفية كلياً بالزخارف النباتية وبالخيوط التى تعرف بخيوط "الكونتيل" ومعظم هذه الخيوط ذهبية أو فضية كما أنها تحلى أيضاً بحبات العدس (الترتر) وخرج النجف. اللوحة رقم (١٨) والشكل رقم (٨). وغالباً ما تضع المرأة القوفية فوق التقريطة والعرقية أو تضع القوفية بدون التقريطة اللوحة رقم (١٩).

ج - ردا:

عبارة عن طرحة سميكة نوعاً ما من القماش الحرير المنقوش والمنسوج يدوياً تغطى بها المرأة رأسها اللوحة رقم (٢٠)

- أغطية الوجه :

تضع المرأة على رأسها غطاء يسمى " مغط" على هيئة ساتر للجسم كله وتضع على وجهها "عجار(*)" من الحرير الأسود وطرفه مطرز وتضع طرفة على رأسها ويمسك بمساسك أو تضع لثام أسود على الوجه من قماش سميك لا يظهر منه إلا العينين فقط.

- لباس القدم :

تضع المرأة فى قدميها "قبقاب" من الخشب والمزين بالزخارف والنقوش والفصوص الملونة اللوحة رقم (٢١).

- الحلى :

تتحلى نساء تونس بأنواع شتى من الحلى أهمها القرط فى الأذنين وأساور وخواتم

(*) عجار: لثام تغطى به المرأة رأسها وصدرها.

وغير ذلك من المجوهرات الثمينة والمطعمة بالياقوت والزمرد والمرجان واللؤلؤ. أما فى القرى والأعراب يتخلخلن بخلاخل(*) فى أرجلهن وغالباً ما تكون من الفضة . وترتدى المرأة فى عرسها عقد من اللؤلؤ كبير يسمى "أرخاب" أو ريحانة من الذهب والعنبر اللوحتين رقمى (٢٢ ، ٢٣).

زى العروسة التونسية :

أصبحت النساء والفتيات الآن لا يلبسن الملابس التقليدية إلا فى المناسبات كحفلات الزفاف والخطوبة مع إن معظمهن اليوم ترتدين فساتين الزفاف البيضاء. وحتى عهد غير بعيد كان على العروسة أن تمتلك الملابس التقليدية ضمن جهازها. وكانت هذه الأزياء تسمى "الكسوة"، والكسوات عديدة ومتنوعة كل حسب مقدرته المالية وعليها أن تظهر كل يوم بكسوة جديدة، وذلك طيلة الأيام السبعة الأولى للزواج على الأقل. ولأن هذه الكسوات أصبحت باهظة الثمن فقد عرضتها بعض الخياطات "للكراء(*)" وبعد أن ترتدى العروسة الكسوة يوم الزفاف تركب "الكروسة(*)" مع أصدقائها ثم تسدل ستائر الكروسة لتتجول فى الشوارع وتتكون كسوة العروسة من سورية، حصارة أو فرملة، فوطة، شال يربط حول الوسط وغطاء الرأس ولباس قدم "قبقاب" اللوحة رقم (٢٤) توضح زى العروس كاملاً.

(*) خلاخل: ج خلخال حلية تلبسها المرأة فى رجليها..

(*) الكراء: تأجير الكسوة يوم الزفاف مقابل أجر تدفعه العروس.

(*) الكروسة: كلمة فرنسية "CARROSSE" عربة للركوب تجرها الخيل أو البغال.

الخريطة رقم (١)

اللوحة رقم (١) "محرزية الخضاب" بخور للوقاية من العين

اللوحة رقم (٢) "محرزية الخضاب"

اللوحة رقم (٣) "محرزية الخضاب"

عروس ليلة الوطبة

اللوحات أرقام (١، ٢، ٣) "الحارزة في مناسبات مختلفة"

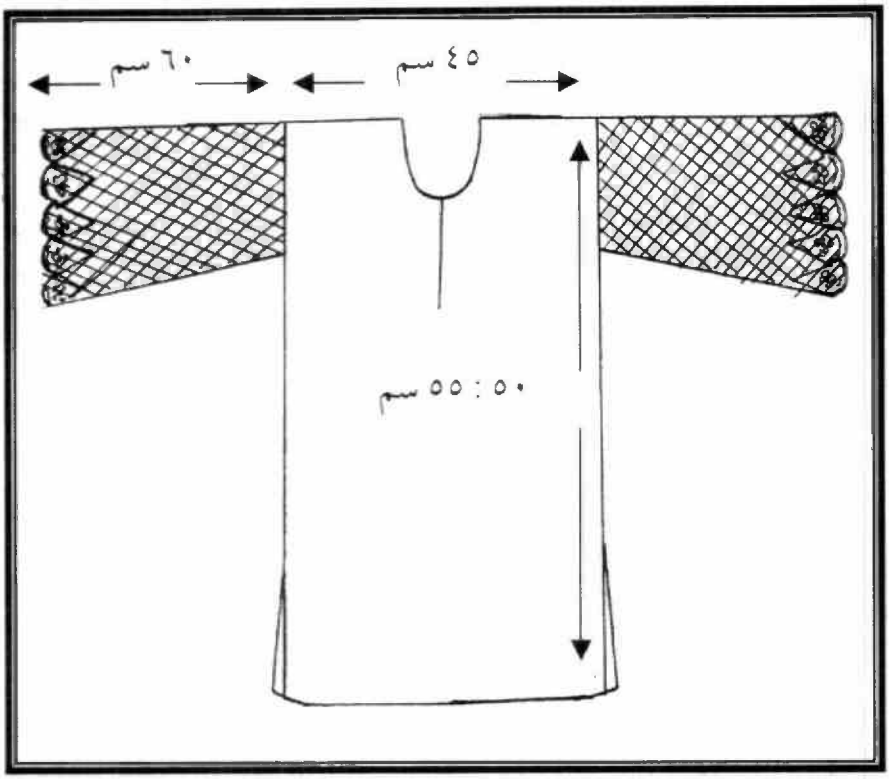

الشكل رقم (١) تفصيلية للسورية بأكمام دانتيل

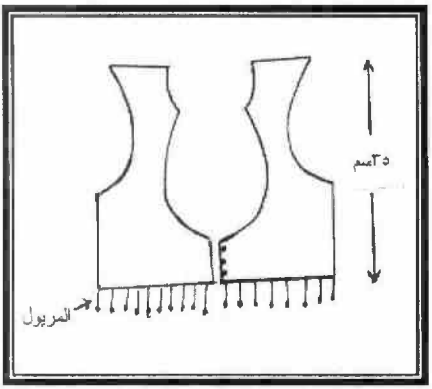

الشكل رقم (٢أ)
تفصيلية للحصارة من الأمام

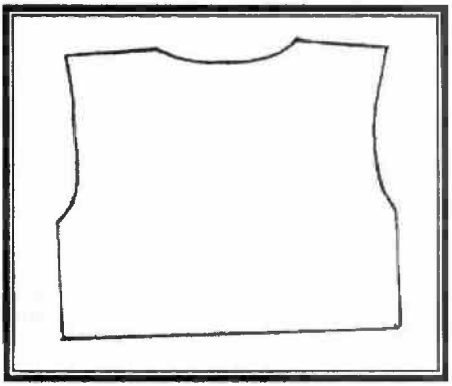

الشكل رقم (٢ ب)
تفصيلية الحصارة من الخلف

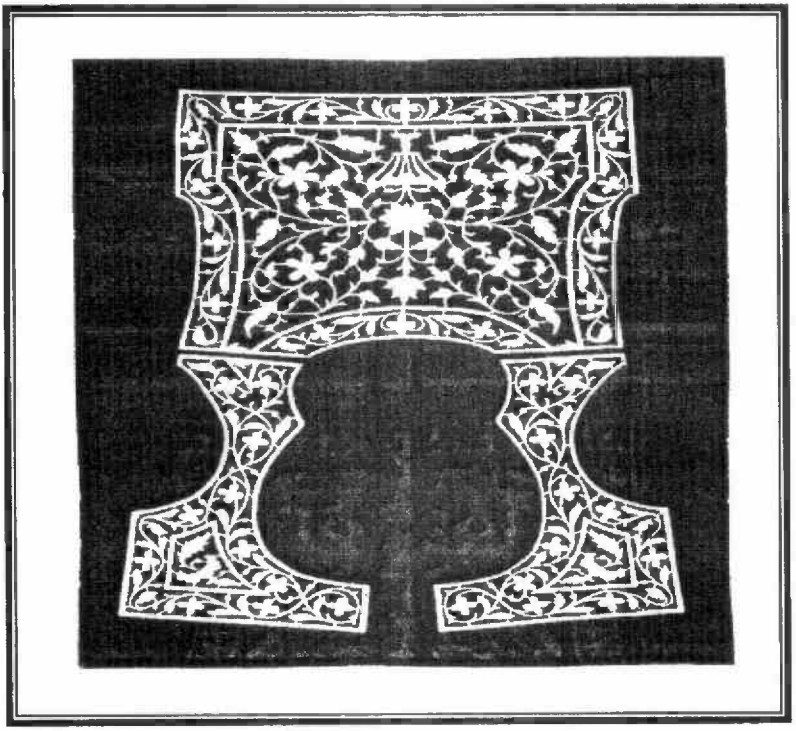

اللوحة رقم (٤) تفصيلية للحصارة بها زخارف نباتية

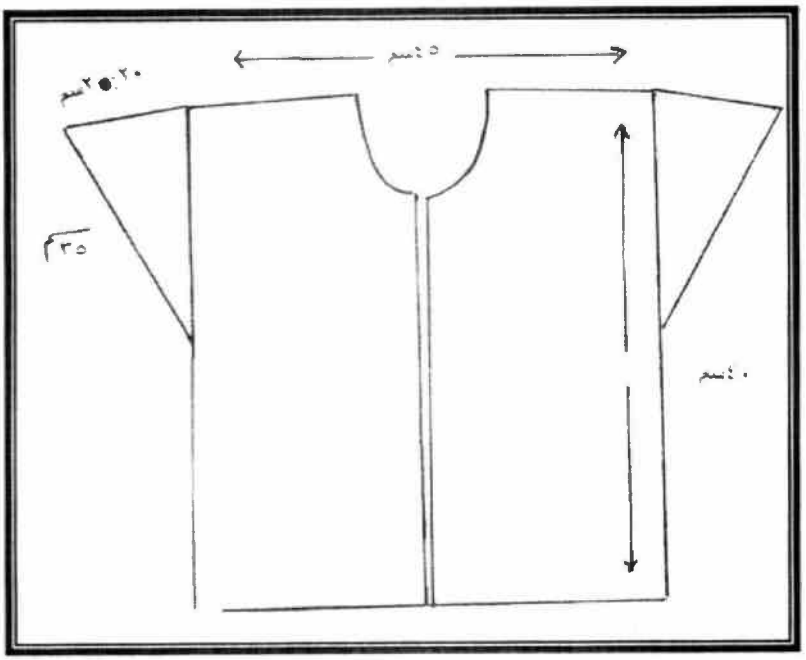

الشكل رقم (٣ أ) تفصيلية للفرملة ذو الكنادر من الأمام

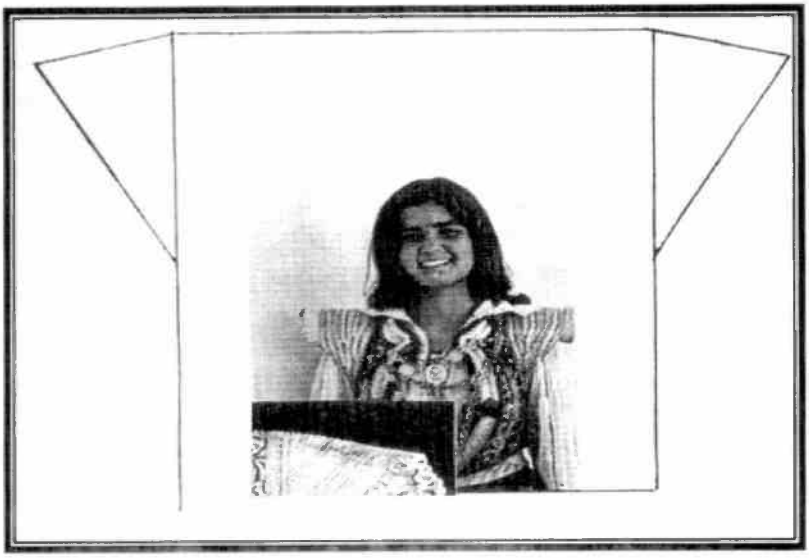

الشكل رقم (٣ ب) تفصيلية للفرملة ذو الكنادر من الخلف

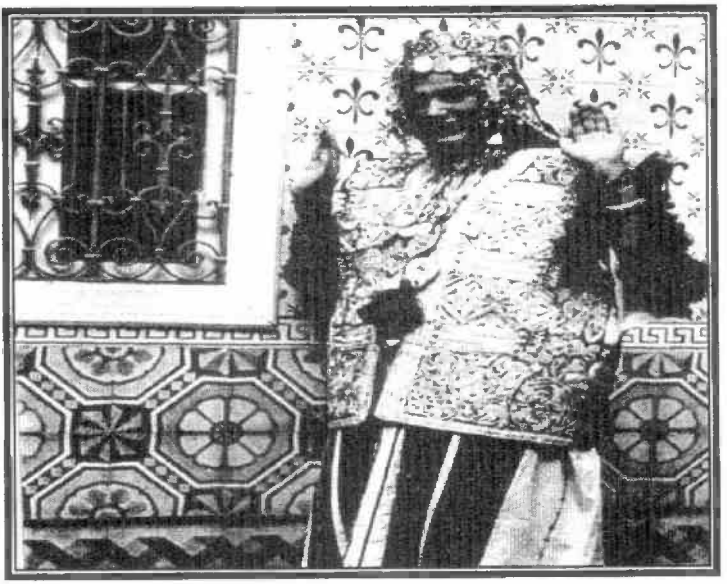

اللوحة رقم (٥) سيدة تونسية ترتدى الفرملة ذو الكنادر

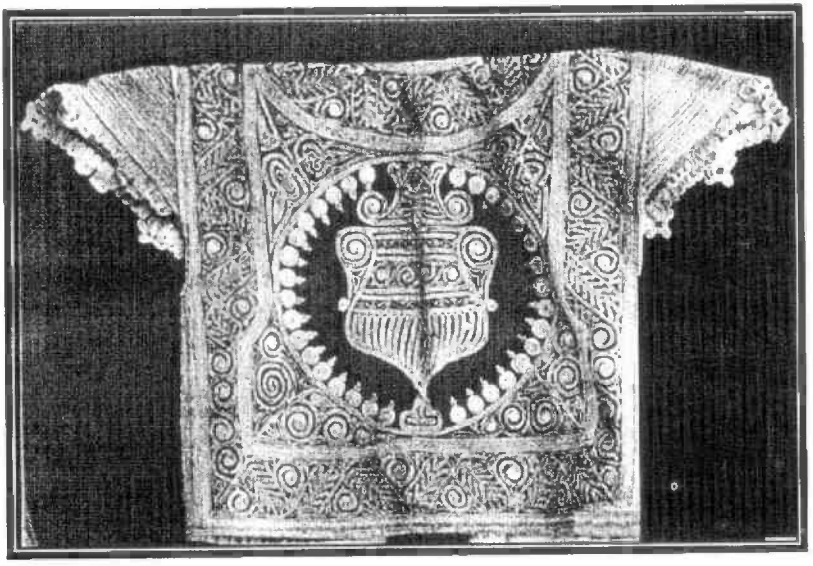

اللوحة رقم (٦)

فرملة من الخلف مطرزة بالقيطان والخيوط الذهبية

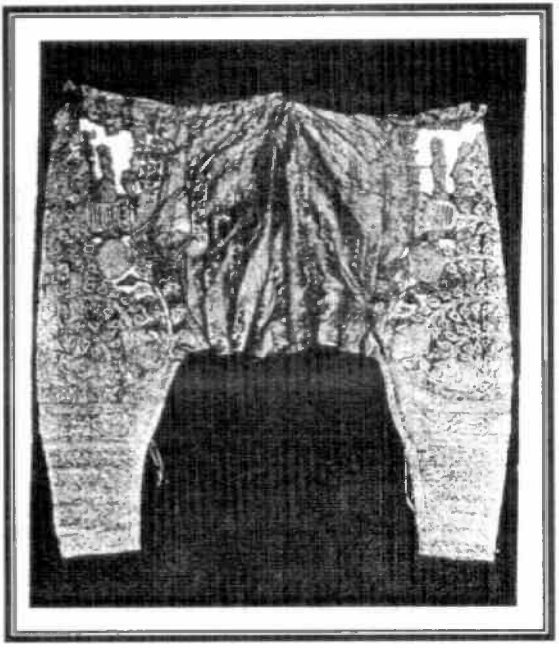

اللوحة رقم (٧) سروال ستان مطرز بخيوط الفضة

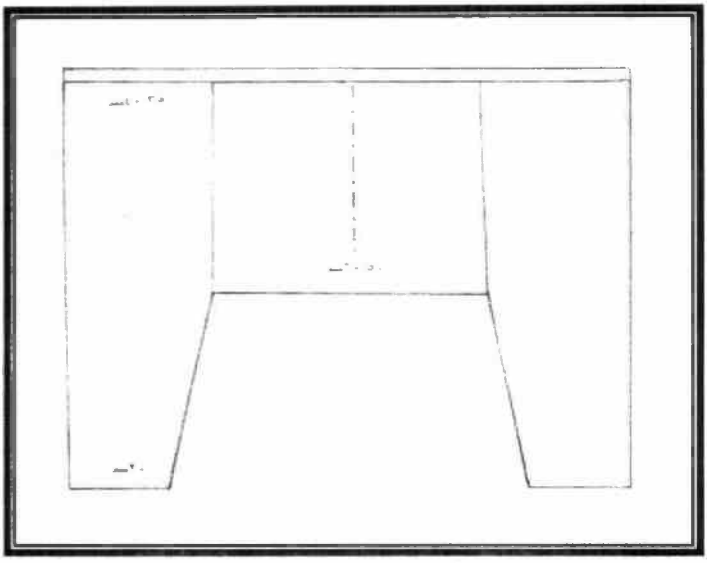

الشكل رقم (٤) تفصيلية للسروال

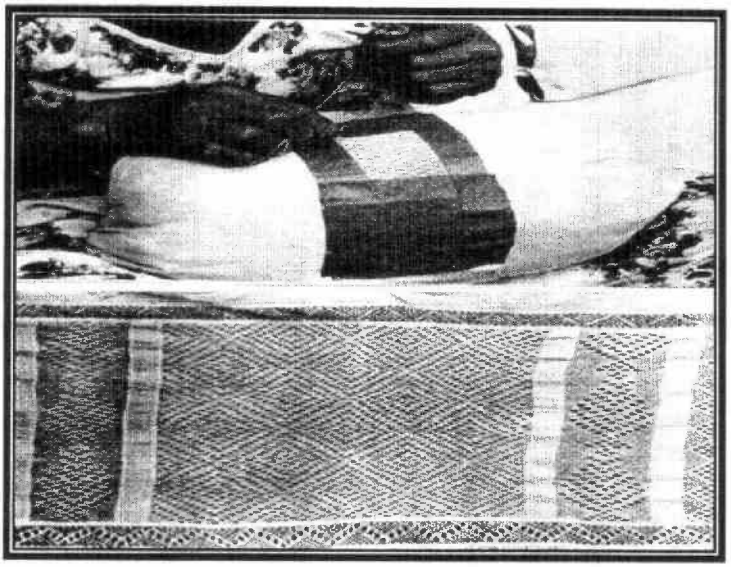

اللوحة رقم (٨)

قطعة (التنبيت التى توضع أسفل السروال والتى تصنع بأسلوب (الشبكة))

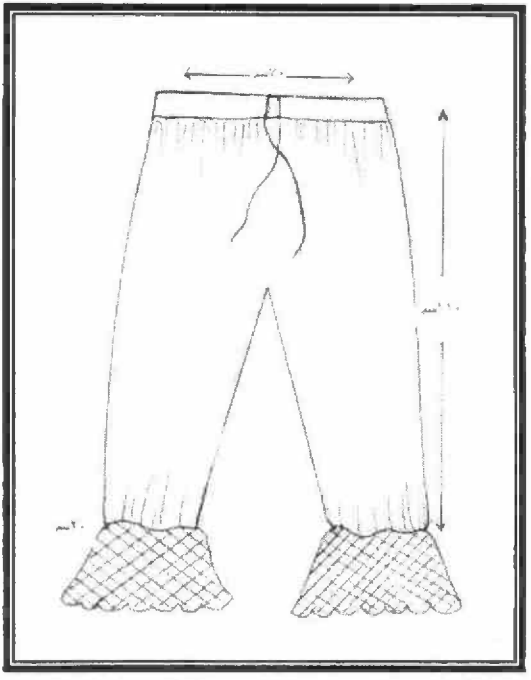

الشكل رقم (٥) تفصيلية السروال بشبكة "كبوس الفارق"

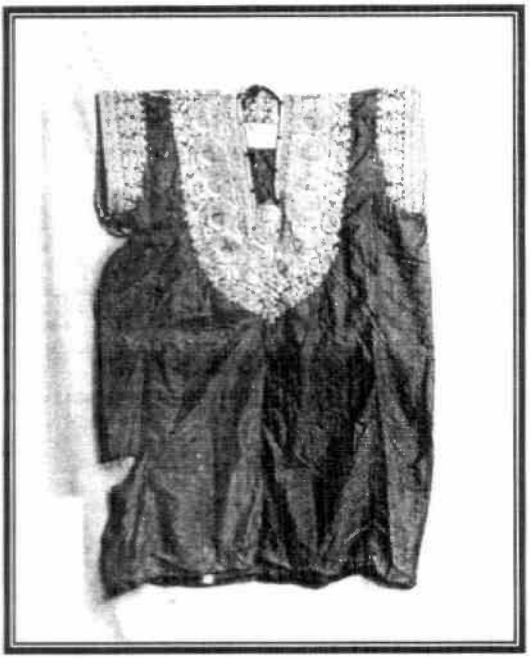

اللوحة رقم (٩أ) القمجة المطرزة بالحرير

اللوحة رقم (٩ ب)

شق مستدير للقمجة وشرائط طولية ملونة

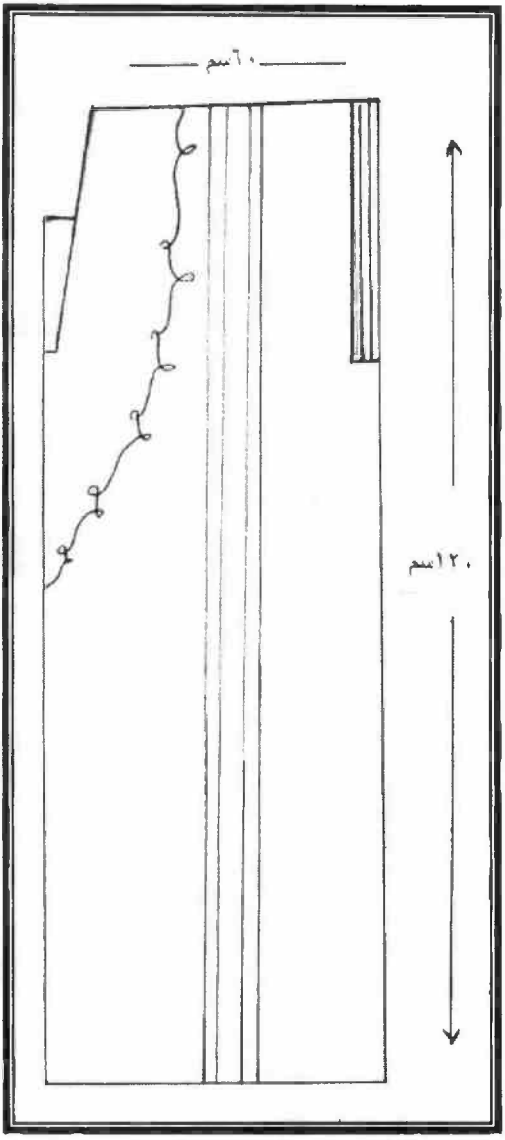

الشكل رقم (٦)
تفصيلية للقمجة

اللوحة رقم (١٠)
شق مربع للقمجة

الشكل رقم (٧) تفصيلية للجبة

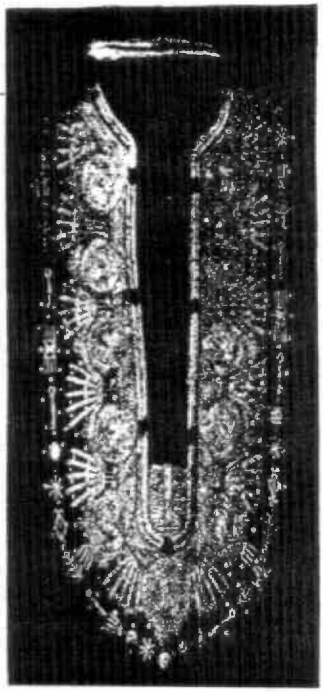

اللوحة رقم (١١)

جبة مطرزة بالبشمار وخيوط الكونتيل

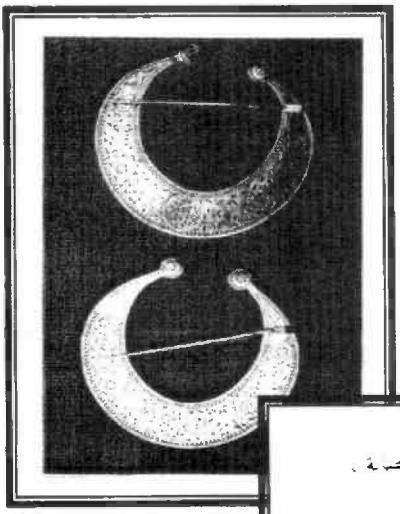

اللوحة رقم (١٢)

مساسك للملية

اللوحة رقم (١٢)

سيدة أعرابية ترتدى المليه والمكملات

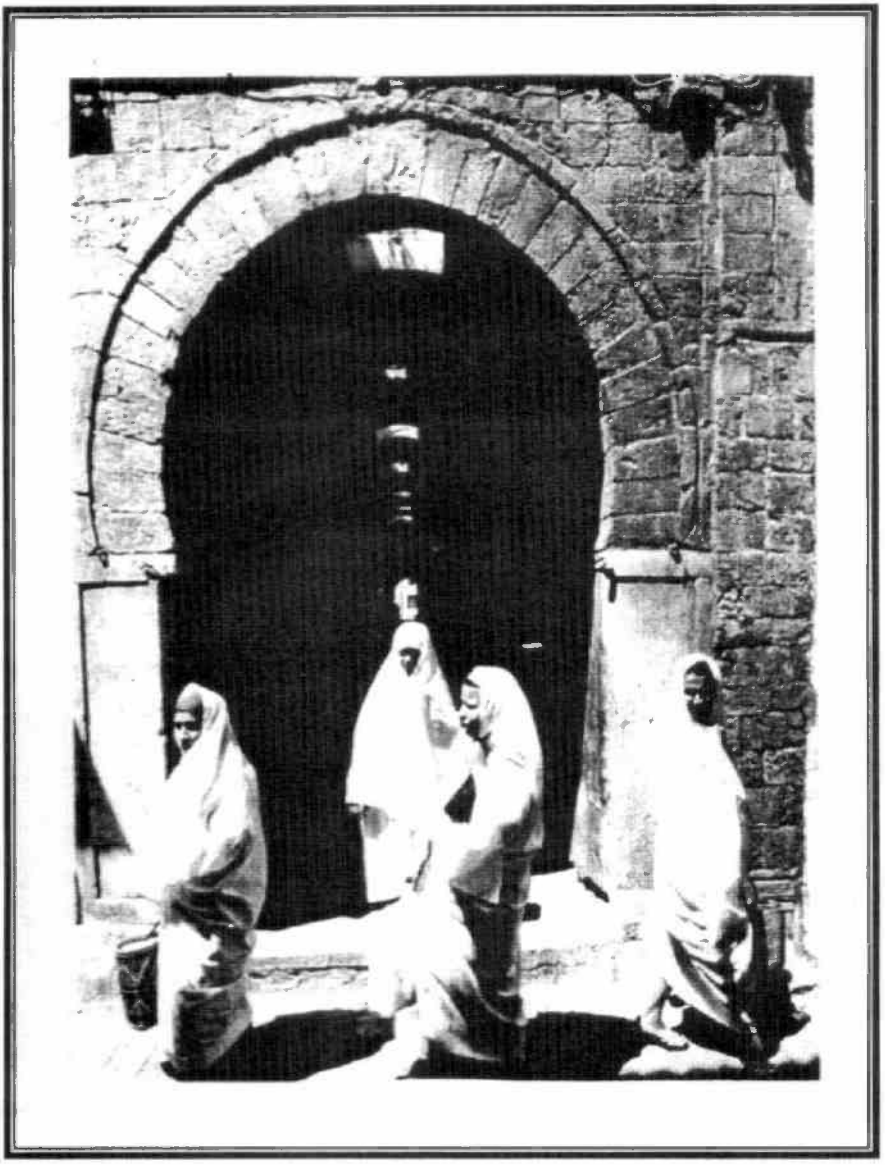

اللوحة رقم (١٤)

نسوة من المدن ترتدين السفساري

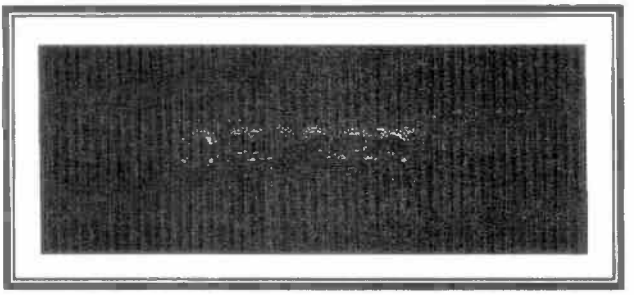

اللوحة رقم (١٥) عصابة أو عرقية

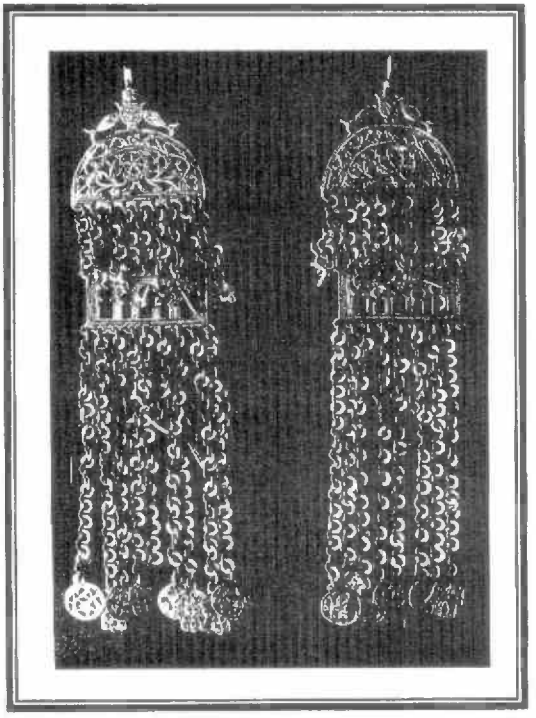

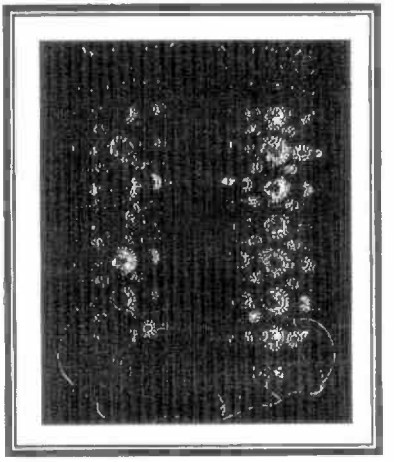

اللوحتين رقمى (١٦ ، ١٧)

تخليلة من الفضة توضع على جانبى العرقية

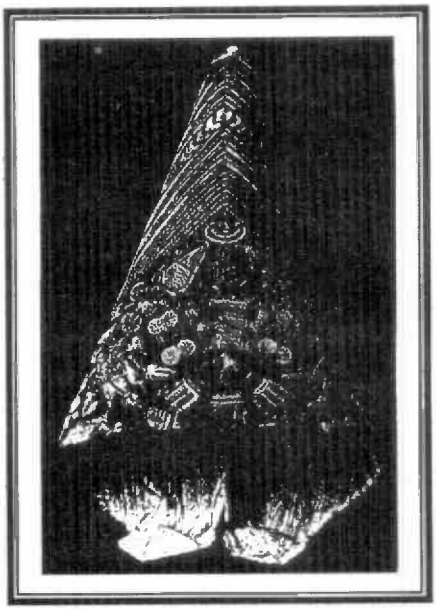

اللوحة رقم (١٨)

كوفية بالكفا مطرزة بالفضة والكونتيل

اللوحة رقم (١٩)

العرقية والقوفية والتخفيلة

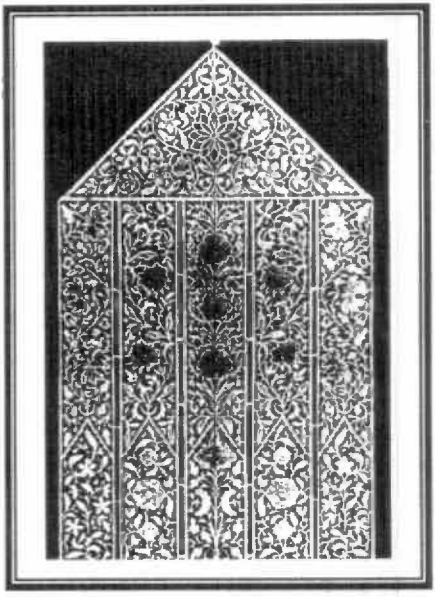

الشكل رقم (٨)

تصميم لكوفية بالكفا

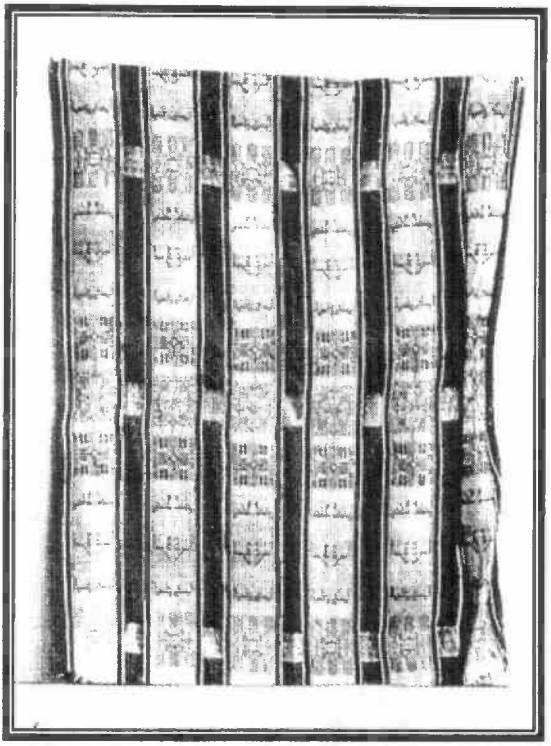

اللوحة رقم (٢٠) ردا (طرحة) منسوجة يدويًا

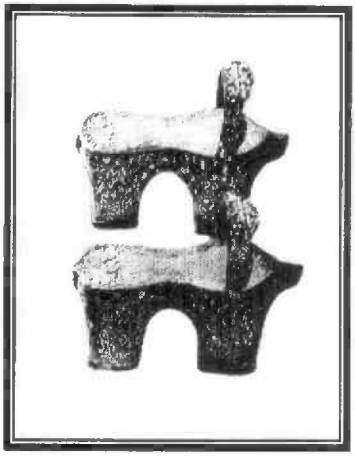

اللوحة رقم (٢١)
قبقباب من الخشب المزخرف

اللوحة رقم (٢٢)عقد من الفضة

اللوحة رقم (٢٣)عقد من الفضة

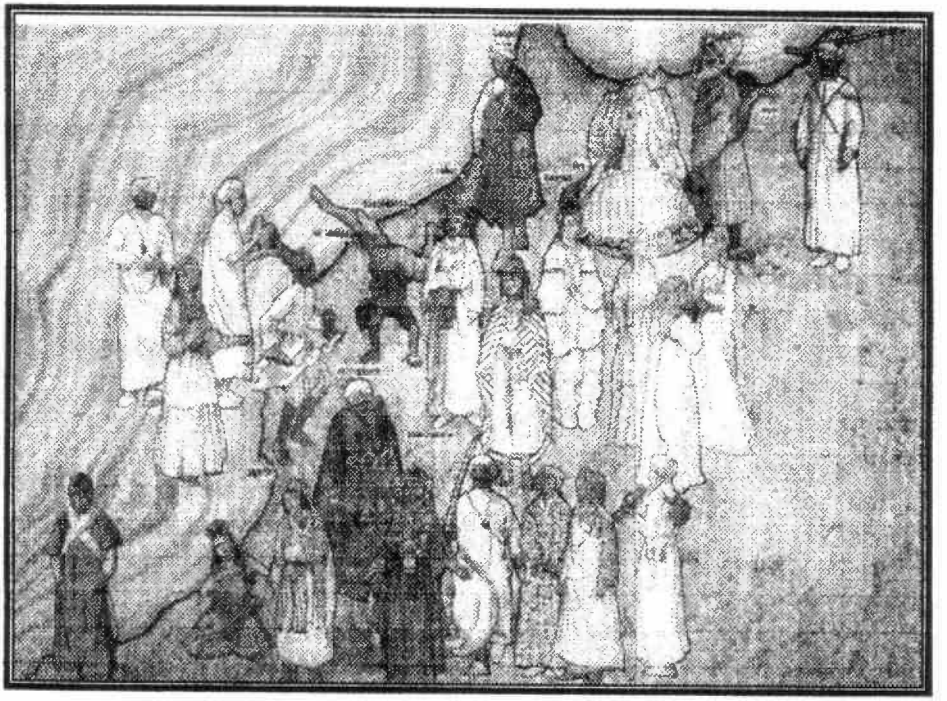

اللوحة رقم ١

خريطة ملبسية توضح أزياء الرجال فى شمال تطوان وما حولها